

مجمع الفقه الإسلامي الدولي
منتدى الفكر الإسلامي

مواجهة ظاهرة كراهية الإسلام

محاضرة

الدكتور محمد عمارة

باحث ومفكر إسلامي

٢١ ذو القعدة ١٤٢٧هـ الموافق ٢١ ديسمبر ٢٠٠٦م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلاة وسلاماً على سيدنا رسول الله ﷺ وعلى آله وصحابه أجمعين.

أيها الأخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

في بداية هذا اللقاء الذي أرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون فيه ما يفيد، أعبر عن شكري لهذه الفرصة التي أتاحت لي أن أجلس مع نخبة متميزة، وأشكر الأخوة الكرام الذين تحدثوا عني بما أرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون أهلاً لشيء منه.

ظاهرة كراهية الإسلام، والتخويف من الإسلام، والعداء للإسلام، ظاهرة قديمة بل أنا أقول: إنها ظاهرة طبيعية وليست غريبة إذا كنا نؤمن بسنن الله سبحانه وتعالى التي نتعلمها في القرآن الكريم والتي لا تبديل لها ولا تحويل، فإن التدافع بين الحق والباطل سنة من سنن الله سبحانه وتعالى. لذلك أنا لا أجزع عندما أرى تصاعد الكراهية للإسلام، والعداء للإسلام، بل يطمئن قلبي إلى أن هذا هو الدين الحق، وأننا على الحق. كان شيخنا محمد الغزالي عليه رحمة الله يقول: نحن نضرب بعنف لأننا نستيقظ، لو كنا أمواتاً ما ضربونا بهذا العنف، لأن الضرب في الميت حرام. ولو كنا أمواتاً لماذا يكلفون أنفسهم حتى رفع أيديهم وضربنا إذا كنا أمواتاً؟

لو أن هذا الدين طوع لما يريده الآخرون لما كان هناك عداء لهذا الدين، لو أن هذا الدين افتقد تميزه بالحق لما كانت هناك كراهية وعداء لهذا الدين. إذاً القضية ليست أن نعجب ونتعجب ونستغرب من الهجوم على الإسلام، وإنما أن نحسن رد هذا الهجوم وإيضاح وبلورة البديل الإسلامي ليكسب أصدقاء وسط هؤلاء المهاجمين. وأيضاً ليكسب أنصاراً في داخل عالم الإسلام وأمة الإسلام.

أنا أريد في هذا اللقاء أن أجيب على بعض الأسئلة بعد أن أنبه على حقيقة لا بد أن ننبه عليها وننتبه لها عندما نتحدث في مثل هذا الموضوع وهي: أننا عادة نتكلم عن

كراهية الإسلام والتخويف من الإسلام، كل هذا يعني العلاقة مع الغرب والموقف من الغرب، لأن الغرب هو الذي يقوم بهذه المهمة.

الغرب ليس شيئاً واحداً. الغرب فيه الإنسان الغربي، وهذا لا مشكلة بيننا وبينه، بل عندما نعرض عليه قضايانا وحتى ديننا بمنطق وبموضوعية يفتح عقله وقلبه لإسلامنا، وتمدد الإسلام في الغرب الذي يأجج الكراهية الغربية للإسلام دليل على هذا، إذاً الإنسان الغربي ليس هو المشكلة. العلم الغربي لا بد أن نتلمذ عليه. الحضارة الغربية لها إنجازات عبقرية في العلوم، وفي الفنون، وفي الآداب، وبالذات في العلوم الطبيعية، وتطبيقات العلوم الطبيعية، ونحن طلاب حكمة. وأنا كتبت مما كتبت "كتاباً عن الغزو الفكري وهم أم حقيقة"، وعالجت فيه قانون العلاقات بين الحضارات، وأن هناك مشتركاً إنسانياً عاماً بين الحضارات مثل: الماء والهواء لا حدود له، وكيف أن هناك خصوصيات لكل حضارة، ولكل ثقافة، مثل البصمة، الإنسان يصفح كل الناس دون أن يتنازل عن بصمته.

الحضارة السوية تفتح على كل الحضارات والثقافات لكنها تميز بين الخصوصية، وبين المشترك الإنساني العام.

إذاً لا مشكلة مع الإنسان الغربي. لا مشكلة مع العلم الغربي، بل نحن الذين نحرم من العلم ويحال بيننا وبين ما نريد، وما يلزمنا من هذا العلم الغربي.

المشكلة كل المشكلة مع مؤسسات الهيمنة الغربية بدءاً بالمؤسسات السياسية، فالمؤسسات الدينية، فالمؤسسات الإعلامية التي تخدم نزعة الهيمنة والتمركز حول الذات، التي هي خصيصة من خصائص الحضارة الغربية منذ اليونان. عند الإغريق من الذي كان له الديمقراطية، من الذي له الشرف؟ قلة من الفرسان الملاك الأحرار الذين يجتمعون في ميدان أثينا، ومن عداهم برابرة لا حقوق لهم.

الرومان نفس الشيء، حتى القانون الروماني كان لا يطبق إلا على الأشراف وعلى الرومان، أما المستعمرون فلا، لأن نزعة التمركز حول الذات، نزعة تحدث عنها ماكسين بردنسون، وأنا سأعرج عليها في الإشارات.

منهجي دائماً أن يكون الشاهد من أهلها، يعني أن لا يكون كلامنا نحن، ولا نعالج هذه القضايا بقال الله، وقال الرسول، لأن قال الله، وقال الرسول نقوله بيننا

مع الذين يؤمنون بأن هذا قول الله وقول الرسول. أما في الحديث عن الآخر، أو مع الآخر فلا بد من العملة الصعبة التي نتعامل بها في خارج حدودنا، وهي المنطق والعقل، وشهادات الآخرين على ما نقول.

إذا الغرب فيه مؤسسات ثلاثة، ولا نضعة في سلة واحدة لأن الله تعالى يعلمنا بميزان ذهبي: "ليسوا سواء". فلا اليهود شيئاً واحداً، ولا الغرب شيئاً واحداً، ولا المسلمون شيئاً واحداً، ولا السنة شيئاً واحداً، ولا الشيعة شيئاً واحداً.

كيف نميز في الآخرين بين هؤلاء الفرقاء؟

العداء الغربي للإسلام قديم، وأنا دائماً استشهد بكلمة للجنرال جلب باشا، وكلكم سمعتم عنه، كان قائداً للجيش الأردني إلى سنة ١٩٥٦م إلى العدوان الثلاثي وعزله الملك حسين استجابة للشارع العربي. جلب باشا إلى جانب أنه قائد عسكري وعاش في البادية، وكان يتكلم لهجات البادية وكانوا يسمونه أبو حنيك، كان كاتباً وله كتاب عن الفتوحات العربية، له عبارة أنا دائماً أرددها لأنني أقول دائماً أن هذه العبارة توقظ النيام نحن لو تناقشنا مع بعض شبابنا ما هو تاريخ مشكلة الشرق الأوسط؟ قد يقول البعض سنة ١٩٦٧م، وقد يقول آخرون ١٩٤٨م، وقد يقول آخرون وعد بلفور ١٩١٧م، وقد يقول متعمق أكثر مؤتمر هرتزل سنة ١٨٩٧م.

جلب باشا يقول: إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط، أي مشكلة الغرب مع الشرق إنما يعود إلى القرن السابع الميلادي أي إلى ظهور الإسلام. الإسلام ظهر في القرن السابع الميلادي وكان الشرق محتلاً ومقهوراً قهراً حضارياً ولغوياً وثقافياً وسياسياً ودينياً من قبل: الإغريق، والرومان، والبيزنطيين لعشرة قرون ١٠٠٠ سنة. طبعاً كان هناك قطاع محتل من الفرس، لأن الفرس كانوا في المدائن بالعراق. إنما الرومان منذ الاسكندر في القرن الرابع قبل الميلاد إلى هرقل في القرن السابع للميلاد كان الشرق محتلاً منهوياً اقتصادياً. مصر كانت سلة القمح لروما. اللغة المصرية القديمة كتبت بحروف يونانية - قهر لغوي - الثقافة الهلينية حلت محل الثقافة الشرقية، الرومان الوثنيون اضطهدوا النصرانية الشرقية، وحتى بعد أن تدينوا بالنصرانية فكان مذهبهم الملكاني يضطهد المذهب اليعقوبي الشرقي.

وكنائسنا الشرقية تؤرخ بعصر الشهداء، بعصر الاضطهاد بعد د قيانوس وجوستينان وغيره.

إذا كان هناك قهر ديني، وقهر ثقافي، وقهر لغوي، وقهر اقتصادي، لعشرة قرون من الشرق. من الذي غير هذا الواقع الذي دام عشرة قرون، وحرر الأرض الشرقية، وحرر ضمائر الشرقيين من هذا الاضطهاد، وترك الناس وما يدينون؟. الفتح الإسلامي كان الشرق يومئذ قلب العالم المسيحي حوَّله الإسلام إلى قلب العالم الغربي والنسبية، والإسلام والمسيحية بالاشتراك مع أحد الكتاب الإيطاليين وهذا الكتاب عمل له عرض في ملحق جريدة الشرق الأوسط في أبريل هذا العام، أي في شهر ٤. البابا يقول في هذا الكتاب: لدى مخاوف ثلاثة:

أولها انقراض الأوربيين ديمغرافيا، ويتحدث عن أن الألمان والإيطاليين والأسبان على وجه الخصوص في آخر هذا القرن إما أنهم سينقرضون نهائياً أو أنهم سيصبحون أقليات في بلادهم.

طبعاً بسبب العلمانية، والأنانية، وهدم الأسرة، وعدم الرغبة في الإنجاب، وأنتم تعلمون أن كثيراً من البلاد الأوروبية عدد الوفيات فيها أكثر من المواليد، ومهددون بتحول هذه المجتمعات إلى مجتمعات من العجائز لأن الرعاية الصحية جيدة، وليس هناك شباب ولا مواليد.

الخوف الثاني الذي تحدث عنه البابا: أن الذين سيحلون محل الأوربيين المسيحيين المنقرضين هم: الهجرات الإسلامية من أفريقيا والعالم العربي، ثم يقول بالحرف في هذا الكتاب: إنه يخشى أن تتحول أوروبا في هذا القرن إلى جزء من دار الإسلام. إذا الخوف القديم الإسلام، الإسلام الذي حول الشرق من قلب العالم المسيحي إلى قلب العالم الإسلامي، الآن يتم التخويف من هذا الإسلام أنه خطر يهدد بتحول أوروبا من قلب العالم المسيحي إلى جزء من دار الإسلام.

أنا قرأت لكرادلة من الفاتيكان، وهذا كلام رده البابا يتحدثون عن أن الإسلام يفتح أوروبا فتحاً جديداً، ويتحدثون عن قضية الديمغرافية، وكيف أن العالم الإسلامي تزداد فيه المواليد وأن العالم المسيحي تنخفض فيه المواليد،

ويتحدثون عن فلسطين يقولون: إن هناك مخططاً مبرمجاً لإزالة أو لتقليص الوجود المسيحي حتى من مهد المسيح.

إذا الخوف من الإسلام قديم، لماذا؟ لهذا السبب لأن الإسلام حرر الشرق من هيمنة غربية دامت عشرة قرون.

ولو نظرنا إلى تاريخنا مع الغرب - نتكلم عن الغرب كمؤسسات هيمنة وليس كإنسان - سنجد أن الإسلام الذي حرر الشرق من عشرة قرون من الهيمنة، جاء الغرب مرة ثانية ليختطف هذا الشرق من التحرير الإسلامي، فكانت الحروب الصليبية "قرنين من الزمان" وإبان هذه الحروب الصليبية تمت المفاوضات بين التتار الوثنيين وتحالفت المسيحية مع الوثنية التتارية، وحولت غزوة هولانكو - بدلاً من أن تتوجه إلى أوروبا - إلى العالم الإسلامي، وكان ما كان من الحرب مع التتار. بل إن قائد جيش هولانكو الذي دمر الشام، والذي دارت المعركة معه في عين جالوت كان مسيحياً نسطورياً، واستغلت الكنيسة بتحالف مع الوثنية ضد الإسلام إحدى زوجات هولانكو وكانت مسيحية نسطورية، وهذا يذكرنا باستروبحلف يهود خيبر، واليهود في المدينة مع الوثنية العربية ضد الإسلام، والتي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: (الْمَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيْلًا) (آية ٥١ - سورة النساء).

إذا القضية ليست فقط فكر إسلامي لأنه كما قلت الغرب قهر المسيحية الشرقية قبل ظهور الإسلام، فلما حرر الإسلام الشرق من هذا القهر الحضاري والديني والسياسي واللغوي والثقافي، جاءوا مرة أخرى تحت ستار الصليب وأعلام الكنيسة، وكان فرسان الإقطاع معهم السيوف ومعهم مفاتيح الجنة مفاتيح البطرسيية التي صكتها لهم الكنيسة.

هزمت الحروب الصليبية، وجاءت دول الفروسية الإسلامية الأيوبية، والمملوكية، فأزالت قلاع الحروب الصليبية.

عاد الغرب مرة أخرى لاحتلال هذا الشرق والاستيلاء عليه. وبدأت الغزوة الحديثة ليس من يونابرت من قرنين، وإنما منذ سقوط غرناطة ١٤٩٢م. غرناطة أسقطت في يناير ١٤٩٢م في أغسطس ١٤٩٢م حملة صليبية يقودها كولومبس - الذي ندرسه

لأبنائنا أنه مجرد مكتشف جغرافي - لتطوف حول أفريقيا ، ولتحول طريق التجارة العالمية بعيداً عن العالم الإسلامي، ولتلتف حول العالم تمهيداً لضرب قلب العالم الإسلامي، فلما ضل طريقة، وذهب إلى أمريكا بعد خمس سنوات من ١٤٩٢م - ١٤٩٧م كانت حملة فاسكو دوجاما الذي التف حول أفريقيا ورأس الرجاء الصالح، وذهب هو والبرتغاليون إلى شرق آسيا حيث الإسلام، وحاربوا المسلمين على شواطئ الهند، وخرج الجيش المصري من ميناء السويس ١٥٠٤م أيام دولة المماليك ليحارب البرتغاليين على شواطئ الهند، فلما هزم الجيش المملوكي كان المد العثماني والفتح العثماني ضرورة، لأن ضعف النظام المملوكي أيام هذه الهجمة البرتغالية والغربية جعل الدولة العثمانية تملأ هذا الفراغ فتؤخر الغزوة الغربية خمسة قرون، وهذا أهم إنجاز من إنجازات الدولة العثمانية من ١٤٩٢ بدأت هذه الغزوة.

حتى كريستيف كولمبس الذي ضل طريقة فذهب إلى أمريكا، جمع الذهب وجاء، فكتب الرسائل إلى فرديناندو، وايزابيلا ملكي أسبانيا، فكتب إنه جمع الذهب، ويطلب إعداد حملة لاسترداد بيت المقدس، وكتب إلى البابا بنفس المعنى.

إذا من سنة ١٤٩٢م بدأت هذه الغزوة التي لا زلنا نعاني مشاكلها حتى الآن. يشهد على هذا - نحن أحياناً ذاكرتنا تضعف فلا ننعش ذاكرتنا بالتاريخ هم لا يصنعون هذا كل عام يختلفون، ويذكرون الناس بذهاب العثمانيين إلى أسوار فيينا، ويحتفلون بمعركة بلاط الشهداء رغم أنها معركة تافهة لكن يكبرونها لكي ينعشوا ذاكرة شعوبهم بالعداء للإسلام - في ١٩٩٢م في ذكرى ٥٠٠ سنة على إسقاط غرناطة، وعلى بدء الغزوة الغربية الحديثة أقاموا دورة أولمبية في برشلونة في المكان الذي اقتلع منه الإسلام في غرب أوروبا. احتفلوا في هذه الدورة بهذه الذكرى، وعرضت مسرحيات وأفلام تذكر الناس بهذا الحدث، اقتلاع الإسلام من غرب أوروبا ١٤٩٢م أي منذ ٥٠٠ عام. وفي نفس العام ١٩٩٢م كانت حرب البوسنة لاقتلاع الإسلام من وسط أوروبا.

إذا الأرقام في التاريخ لها معان لو حسبنا الحسبة كما يقولون ١٠ قرون من الاحتلال الغربي قبل الإسلام، بالإضافة إلى قرنين من الحروب الصليبية صارت ١٢ قرناً، وخمسة قرون عمر الغزوة الغربية الحديثة. فالمحصلة (١٧ قرناً) من تاريخ عمره (٢٤ قرناً) من القرن الرابع قبل الميلاد إلى اللحظة التي نتحدث فيها. هذا هو تاريخ

الشرق مع مؤسسات الهيمنة الغربية، ومرة أخرى ليس الحديث مع العلم الغربي، ولا مع الإنسان الغربي.

نحن بعد ١١ سبتمبر، أصبح كثير من الإعلاميين عندنا يتصورون أن ١١ سبتمبر هو بداية تاريخ العداء الغربي للإسلام، والكراهية الغربية، وكأن ١١ سبتمبر الخط الفاصل ما بين الماضي وما بين الحاضر. صحيح أن بوش قال: حرب صليبية، وكلمة الفاشية التي استخدمها قريباً لم يكن هو أول من استخدمها، بل فوكوياما أول من استخدم كلمة الفاشية الإسلامية، واستخدمها في عدد من النزوك العدد الشهري ديسمبر ٢٠٠١م، فبراير ٢٠٠٢ لما كتب وقال: نحن نريد حرباً داخل الإسلام تجعله إسلاماً ليبرالياً حدثاً علمانياً يقبل المبدأ المسيحي: دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، هذا هدف. الصحفي الأمريكي الصهيوني توماس فريجمان في أول غزوة لأفغانستان ٢٠٠١م كتب مقالا نشر في جريدة الشرق الأوسط، وجريدة وطني المسيحية التي تصدر في مصر، قال: إن المعركة الحقيقية ليست في ميدان القتال، إنما هي في الكتب المدرسية فعلياً أن نفرغ سريعاً من ميدان القتال ونعود إلى الكتب المدرسية لكي نخرج أجيالاً تقبل شطائنا كما تقبل سياساتنا.

موضوع المناهج، وموضوع التعليم، وهذه الأمور.

هل ١١ سبتمبر؟ والكلام عن الصليبية، والكلام عن الفاشية، والكلام عن المناهج التعليمية، ويتكلمون عن السفلية، والوهابية وأنها أشد خطراً من الشيوعية. أنا جمعت كل هذه في دراسة عن العداء الأمريكي للإسلام بعنوان: "الهجمة الأمريكية على الإسلام". على كل هذا ليس جديداً، لأنه إذا كان جلوب باشا قال: إن المشكلة بدأت مع ظهور الإسلام فعلياً أن نبحث، ونبحث من خلال كتابات الغرب.

أنا جمعت شهادات غربية - في كتاب أكثر من ٤٠٠ أو ٥٠٠ صفحة، أسمه "الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء" - أتيت بشهادات غربية تعترف بافتراء الغرب على الإسلام، وأتيت باثنتين وثلاثين شهادة غربية من أعلام الثقافة الغربية تنصف الإسلام إنصافاً، وسأشير إلى نموذج من هذه النماذج.

وأيضاً قدمت لكتاب كتبه إثنان ألمان، وترجمة أحد المصريين الذين يعيشون في زيورخ اسمه ثابت عيد، وعملت له مقدمة اسمها "صورة الإسلام في التراث الغربي".

ماذا تقول هذه الشهادات؟ لأن القضية ليست حديثة، وليست منذ غزوة بونابرت، وليست منذ قيام إسرائيل، وليست من ١١ سبتمبر، لأن في العصور الوسطى الغربيون والكنيسة روجت لمثل الصور التي نراها اليوم؛ والإعلام هو صانع الصورة.

والإعلام هو صناعة الصورة، وعندما يكون الإعلام كذب، والإعلام كما تشاهدون اليوم أنه صناعة ثقيلة تدر المليارات، وهذا يذكرنا بقول الله تعالى: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ) (آية ٨٢-سورة الحديد).

تأكلون عيشاً من الكذب، الآن ليس عيشاً الآن مليارات، وهذا يذكرنا لما سئل نتيهاهو وهو رئيس للوزراء، لماذا لا تتفدون مواعيد أو سلو، قال: ليس هناك مواعيد مقدسة.

فقلت لأحد الناس وأنا أحاوره ألم تقرأ قول الله تعالى: (أَوْكَلَّمَا عَاهِدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (آية ١٠٠-سورة البقرة) فقال لي: كأني أسمعها لأول مرة. هذا يبين لنا المشكلات التي نمر بها. القرآن وحي الله سبحانه وتعالى الخالد الخاتم. فالشهادات الغربية منها شهادة لمكسيم ريدنسون، أسمحوا لي أن أقرأ لكم سطوراً لتعلموا أن القضية ليست قضية ١١ سبتمبر، ولا قضية الصورة الكاذبة. - الرسوم الدنماركية - .

سبحان الله! في سبتمبر ٢٠٠٥م كانت الرسوم الدنماركية. وفي سبتمبر ٢٠٠٦م محاضرة البابا، وسنعرج عليها.

إنما الشهادة الغربية التي تتكلم عن البعد التاريخي هي في الكلام الذي كتبه الألمان في كتاب صورة الإسلام في التراث الغربي، وجاء فيها: لقد اعتبر المسيحيون الأوروبيون محمداً رجلاً عاش حياة داعرة. أنا أقول إن الرسام الدانماركي لم يفعل شيئاً كبيراً بالنسبة لهذا الذي سنراه لعمالقة الكاثوليكية الغربية والبروتستنتية الغربية عن رسول الإسلام ﷺ. لقد اعتبر المسيحيون الأوروبيون محمداً رجلاً عاش حياة داعرة وتجاوز خبثه كل حدود الدناءة والانحطاط، ولم يتورع خيالهم عن الإدعاء بأن رسول الإسلام كان في الأصل كردينا لا كاثوليكيًا تجاهلته الكنيسة في

انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقاماً من الكنيسة، واعتبرت أوروبا المسيحية في القرون الوسطى محمداً المرتد الأكبر عن المسيحية الذي يحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية.

هذا الكلام مكون ثقافي في العقلية الأوروبية. قد يقول البعض: إنه كلام قديم. سنعلم أنه في أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات من القرن الماضي عمل مشروع بحثي في ألمانيا عن الأخطاء والأكاذيب والمغالطات عن الإسلام في الكتب المدرسية الأوروبية ٨ مجلدات عمل لها ملخص بالعربي نشر في مصر في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، أليست هذه مكونات العقل الغربي. التراث هو المكتوب، والموجود في الكتب المدرسية، والموجود في الملاحم الشعبية، والذي يوجد الآن في أجهزة الإعلام.

إذا الإنسان الغربي ضحية لهذا التراث الذي اسميه مخزون ثقافة الكراهية السوداء الموجود في التراث الغربي. مكسيم ريدنسون، وهو رجل يهودي يساري، ماذا كتب في هذا الموضوع، يقول: "لقد حدث أن الكتاب اللاتين الذين أخذوا ما بين سنة ١١٠٠-١١٤٠ على عاتقهم إشباع الحاجة لدى الإنسان العامي، أخذوا يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد، دون أي اعتبار للدقة فأطلقوا العنان لجهل الخيال المنتصر، فكان محمد في عرفهم ساحراً هدم الكنيسة في أفريقيا والشرق عن طريق السحر والخديعة، وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات الجنسية، وكان محمد في عرف تلك الملاحم هو صنمهم الرئيسي وكان معظم الشعراء الجواله يعتبرونه كبير آلهة السراسنة أي البدو، وكانت تماثيله - حسب أقوالهم - تصنع من مواد غنية، وذات أحجام هائلة.

لقد اعتبر الإسلام في العصور الوسطى نوعاً من الشقاق الديني، أو هرطقة ضمن المسيحية، وهكذا رآه دانتى". هذا كلام مكسيم ريدنسون.

إذا ليست أحداث سبتمبر، ولا العصر الحديث، ولا القرن العشرين، ولا أي شيء حول هذه التواريخ.

أيضاً هذه الشهادات الغربية تشير إلى ملحمة شعبية فرنسية ما بين سنة ١٠٠٠-١٤٠٠م هي ملحمة رولاند، تتحدث عن أن المسلمين يعبدون الثالوث، ويعبدون أصناماً فيها تماثيل محمد. الأكثر غرابة أن توما الأكويني، وهو أكبر فلاسفة

وقديسي الكاثوليكية في العصور الوسطى، وقد تتلمذ على كثيرين من علماء المسلمين، منهم: ابن رشد، وقد تأثر به.

أي أنه كان على دراية بالثقافة الإسلامية، ما كتبه عن رسول الله ﷺ يدخل في باب الإعلام الكاذب لشحن العقلية الغربية بالعداء والكراهية للإسلام، ماذا قال عن رسول الله ﷺ؟ "إن محمداً هو الذي أغوى الشعوب من خلال وعوده الشهوانية، وقام بتحريف جميع الأدلة الواردة في التوراة والأنجيل من خلال الأساطير والخرافات التي كان يتلوها على أصحابه، ولم يؤمن برسالته إلا المتوحشون من البشر الذين كانوا يعيشون في البادية".

- مارتن لوثر: وهو من دعاة الإصلاح! - وهناك شهادات كثيرة على أن الإصلاح المسيحي تأثر بالإسلام. الشيخ أمين الخولي عليه رحمة الله، كتب البحث الشهير له سنة ١٩٣٥م وقدمه في مؤتمر الأديان باسم: "صلة الإسلام بإصلاح المسيحية"، ونحن أعدنا نشره هذا العام في القاهرة ماذا قال؟ - لولا أننا نتكلم إلى علماء، ولا بد أن نكشف الحقائق، الإنسان يستحي أن يردد لسانه هذه الأوصاف التي كتبها هؤلاء - قال: إن محمداً خادم العاهرات وصائد المومسات.

دانتي: وأنا أريد أن الفت أنظار حضراتكم، إلى أنه حدث في ثقافتنا نوع من الغش، الذين ترجموا لنا الكوميديا الإلهية لدانتي حذفوا منها ما كتبه وصوره لرسول الله ﷺ والإمام على ابن أبي طالب عليه السلام. وضعهم في الحفرة التاسعة من الجحيم وصورهم في صورة بشعة في الكوميديا الإلهية، لأنهم في نظره أهل شقاق ونفاق. هذا حذف. الأمر بالضبط كما فعل اليسار لما ترجم لنا ماركس، حذف ما قاله ماركس عن استعمار فرنسا للجزائر، واستعمار الإنجليز للهند. وقد اعتبر هذا موقفاً تقديمياً لأنه يزيل الرجعية والجمود والتخلف والمواريث الثقافية القديمة، ويفتح الباب للفكر الرأسمالي والنظام الرأسمالي الذي سيولد الشيوعية.

لم يقولوا لنا هذا الجانب من ماركس، كي يظل "ماركس" هو زعيم التحرر والتقدم والاشتراكية.

لما قرأت المادية الجدلية لاستالين في الخمسينات وجدت أن الذين ترجموا له في لبنان بدلا من أن يكتبوا جوزيف استالين قالوا يوسف استالين، يريدون أن يبلعوننا استالين بدلا من جوزيف، فقالوا يوسف ستالين حتى يكون منا وعلينا.

أريد أن أقول: إنه حدث نوع من الغش من أصحاب التيار الليبرالي والتيار العلماني الذين ترجموا هذه النصوص.

وضع دانتى رسول الله ﷺ، وعلي ابن أبي طالب عليه السلام في الحفرة التاسعة في ثامن حلقة من حلقات جهنم، لأنهم بنظره من أهل الشجار والنفاق الذين تقطعت أجسادهم في سعي الكوميديا الإلهية.

حتى فولتير: كثيرون منا يعرفون المسرحية التي كتبها عن رسول الله ﷺ، وأنه نموذج للتعصب.

فولتير ندرسه في الكتب المدرسية، وعندنا هو رمز من رموز الحرية والإخاء والمساواة، والذي مهد للثورة، وأنا فيما قرأت لم أجد من كشف عورته الفكرية، وتحدث عنه حديثاً حقيقياً لإجمال الدين الأفغاني، عندما تكلم عن موقفه من الأديان، وموقفه من المعجزات، وإنكاره لكل المعجزات، وهجومه على سائر الأنبياء وبالأخص على رسول الله ﷺ.

الموقف من القرآن الكريم:

بابا الفاتيكان، وأنا قد اهتمت أن أرد على هذه المحاضرة. عملت ٣٠ حلقة في التلفزيون المصري في قناة النيل الثقافية، ملف كامل عن المحاضرة والمحاضر، والمؤسسة، وكتبت كتاباً يطبع الآن عن الفاتيكان والإسلام.

البابا عندما تكلم عن القرآن الكريم، رغم أنه أستاذ فلسفه ومن الأكاديميين، ويلقى محاضرة في جامعة كان يدرس فيها أمام أكاديميين، وأساتذة، ولكن استخدم منهج العنفة ونقل عن واحد اسمه عادل تيو دورخوري، وهذا نقل عن واحد فرنساوي. كذبوا على الإمام ابن حزم، وأنا عندما أحضرت كتاب ابن حزم - وهو يرد على المعتزلة في موضوع المشيئة الإلهية وطلاقة المشيئة الإلهية - ظننت أنهم فهموا كلام ابن حزم خطأ، فإذا بكلام ابن حزم ضد ما نسب إليه في محاضرة البابا. لكن هذا الكذب على ابن حزم يجعل البابا يقول عن الإيمان الإسلامي: "إنه

إيمان وثني أعمى، لا مكان فيه للعقل ولا للمنطق، لأن مشيئة الله في التصور الإسلامي متسامية لا علاقة لها بالعقل ولا المنطق". ويقول عن القرآن في موقف كله كذب: "إن الإمبراطور الروماني لابد أنه كان يعرف آية لا إكراه في الدين"، ثم يتحدث بجهالة فيقول: "إن هذه الآية نزلت في سورة من السور المبكرة قبل أن يكون محمد قوياً"، رغم أنها نزلت في سورة مدنية وهي سورة البقرة، ثم يقول إن الإمبراطور: "لم يكن يعلم تعليمات أوامر اللئام التي دونت في القرآن بعد آية لا إكراه في الدين".
يعني القرآن في نظره تعليمات أوامر اللئام.

رجل في هذا المنصب، ويتحدث إلى أساتذة، يصف كتاب المسلمين، الوحي الصحيح الوحيد على هذه الأرض بأنه تعليمات أوامر اللئام، وأنا لما كتبت وتكلمت اعتمدت على ترجمة نشرت في جريدة مسحية، وهي جريدة وطني، كي يطمئن قلبي إلى أن المصدر الذي أرجع إليه غير متهم بالتقول على البابا.

وصف القرآن بهذا الوصف، ووصف رسول الله ﷺ بالعبارة التي استند إليها للإمبراطور البيزنطي ما نويل "إن محمداً لم يأت إلا بما هو سئ وشرير ولا إنساني، ومن ذلك أمره نشر دينه بالسيف". إذا فالكلام عن القرآن؛ الكلام عن رسول الله ﷺ، وعن رب العالمين من أن مشيئته لا علاقة لها بالعقل ولا بالمنطق، وأن الإيمان في هذا التصور هو إيمان وثني أعمى، وطبعاً الحديث عن انتشار الإسلام بالسيف، وأنا كنت اتحدث منذ أول أمس مع الأستاذ الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر فقال لي: "ليس صدفة أن القرآن الكريم ليس فيه كلمة السيف، لن تجد في القرآن الكريم كلمة السيف". بينما العهد القديم طافح. وسأقرأ عليكم بعض عبارات من العهد القديم. شيء خرافي فيما يتعلق بالعنف والدموية، والسكر بشرب الدما، وأكل الشعوب أكلاً. "ولا تقطع لهم عهداً، ولا تشفق عيناك عليهم، لأنك شعب مقدس دونك كل الشعوب، وفوق جميع الشعوب". كل هذا الكلام موجود في العهد القديم ويتحدثون عن الخطاب الديني الإسلامي، وضرورة تطوير الخطاب الديني الإسلامي ويبصرون القشة ولا يبصرون الخشبة في عيونهم، ولذلك أيام الهوجة التي ثارت بخصوص الخطاب الديني عملت كتاباً صغيراً اسمه خطابنا الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكي. ألم يقل المفكر الاستراتيجي بصريح العبارة نريد

حرباً داخل الإسلام تجعله إسلاماً ليبرالياً علمانياً حداثياً يقبل المبدأ المسيحي دع ما لقيصر لقيصر ومالله لله.

القرآن الذي تكلم عنه البابا. هناك تراث للبابا، هذا ليس البداية، بل هو امتداد لثقافة الكراهية السوداء.

مارتن لوثر زعيم البروتستنتية تكلم عن القرآن ماذا يقول - كل هذا جاء في الشهادات الغربية في كتاب صورة الإسلام في التراث الغربي، أو في كتاب الإسلام في عيون غربية - أي كتاب بغيض وفضيخ وملعون، هذا القرآن ملئ بالأكاذيب والخرافات والفظائع، وإن إزعاج محمد والإضرار بالمسلمين يجب أن تكون هي المقاصد من وراء ترجمة القرآن وتعرف المسيحيين عليه. "يعني أنهم ترجموا القرآن لا يعرفوا الحقيقة. كما أنهم لم يقفوا موقف المشرك الذي استجار ليعرف كلام الله. (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلَغَهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) (آية ٦-سورة التوبة) يعني مجرد أنه يعرف ثم يحكم.

يقول: نحن نترجمه كي نزيد كراهية المسيحيين للإسلام لأن الصراع كان مع الأتراك العثمانيين في ذلك التاريخ.

حتى جوته المترجم الذي في زيورخ جمع النصوص يعني لما ترجم لجوته لم تقال في الترجمات: إنه الكتاب الذي يكرر نفسه تكرارات لا تنتهي فيثير اشمئزنا دائماً، كلما شرعنا في قراءته. "حتى الرجل الذي كتب كتاب العظماء مائة أولهم محمد توماس كارليل. طبعاً هو أعجب برسول الله صلى الله عليه وسلم، هو رجل ملحد مادي يعني علماني ولا يؤمن بالنبوات ولا بالرسالات، وهذه ليست المشكلة، إنما سر إعجابه برسول الله ﷺ، أنه الوحيد في المائة الذي طبق دعوته، يعني لا عيسى طبق وأقام دولة وحضارة، ولا موسى ولا حتى أبو الأنبياء إبراهيم، إنما أعجب برسول الله ﷺ كزعيم مصلح ووظف دعوته في الممارسات، إنما ماذا يقول عن القرآن: "إن محمداً شيء والقرآن شيء آخر، فالقرآن هو خليط طويل وممل ومشوش جاف وغليظ باختصار هو غباء لا يحتمل". هذا تراث قديم قبل ١١ سبتمبر، قبل محاضرة البابا والرسوم الدنماركية، وأنا أريد أن أقول: إن هذا مخزون في الثقافة الغربية، نحن عندما ننشر هذا الكلام هل نريد زيادة الكراهية للغرب؟ لا حاشى لله. نحن نريد

عندما نجلس مع الغربيين عندما نتحاور مع الغربيين نكون على دراية بما عندهم، وذلك بأن يكون عندنا جدول أعمال.

أنا عندي كتاب يطبع الآن عن فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية، هذه الفرق الثلاث يكفر بعضها البعض، لماذا ننشر هذا الكلام؟

الكلام الذي كتبه الشيعة عن الصحابة يشيب، عمر الذي لولاه لكانوا حتى الآن يعبدون النار يقولون عنه: إنه ابن زنا، وابن شيطان، وأنه مرتد، وأنه كافر، طبعاً وأبو بكر وغيره، وملعون وكافر ومرتد من يواليه... إلخ.

لماذا ننشر هذا الكلام؟ - طبعاً أنا كنت متردد طبعاً هذا الكلام موجود في كتبهم الأصولية.. حتى يكون عندنا جدول أعمال للحوار، وليس تقبيل اللحي وكل شيء تمام وعال العال. وأقول في الكتاب: الوهابية يكفرون الأشعرية، ويكفرون الشيعة، ويكفرون الصوفية، والصوفية كتبوا كلاماً عن ابن تيمية يشيب، هذا الكلام منشور في مصر. يقولون: إن ابن تيمية هو الذي أدخل التثليث في الإسلام بدلاً من التوحيد، كلام شديد الغرابة، وأن الوهابية هم يهود هذه الأمة.

طبعاً هذا الكلام مكتوب في سلاسل من الكتب الشهرية تنشر في القاهرة، وتمولها إحدى الدول - لا أريد أن أذكر هذه الدول - نكايه في السعودية... إلخ.

لماذا ننشر هذا الكلام؟ ننشره بهدف حتى يكون عندنا حوار لحكماء عقلاء ويكون مغلقاً وبعيداً عن العامة والإعلام، نقول: تعالوا ننزع الألفام من كتبنا جميعاً نحن عندنا فن في تحقيق التراث، اسمه تهذيب التراث هناك طبعة لألف ليلة وليلة، نزعنا منها الجنس المكشوف والفحش.

فريد الكتب التي تدرّس في الحوزات والجامعات... إلخ ينشر لها طبعات مهذبة، ننزع منها ألفام التكفير فقط لا غير. يعني لو أن ابن تيمية يكفر الشيعة ننزع هذا، وأنا اقترحت هذا الكلام في طهران في مؤتمر مجمع التقريب، وقلت: نحن لنا منذ الأربعينيات إلى الآن نتكلم عن التقريب في ميدان غير ميدانه الحقيقي. نتكلم عن المذاهب الفقهية، وليست فيها مشكلة، نحن كلما اجتهدنا كلما اختلفنا، وهذه ظاهرة صحية. المشكلة في علم الكلام، وفي التكفير على وجه التحديد. ننشر هذا الكلام حتى يكون عندنا جدول أعمال لعلماء وحكماء ينزعون هذا. أقول لو عملنا

هذا في خمسين سنة كان مكسبا ، لأن الذي تكلس في سنين طويلة لا يمكن حله في يوم وليلة ، هذا مثلُ عندنا في الداخل ، مثل الذي نتكلم عنه وهو موضوع الغرب. لما نجلس على موائد الحوار يكون عندنا جدول أعمال. هناك ثقافة في التراث الغربي مخزون لثقافة الكراهية السوداء يظهر في المنعطفات والمفاصل في العلاقة بيننا وبين الغرب ، ومؤسسات الهيمنة التي تستخدمها في تشويه صورة الإسلام لزيادة الكراهية للإسلام والمسلمين ، لإقناع الشعوب الغربية بالسير وراء مؤسسات الهيمنة في الحروب التي تقودها.

نحن نرى عندما أرادوا حرب العراق ظلوا يتكلمون عن أسلحة الدمار ، يعني أنك تقنع شعبك ليسير وراءك والكونجرس يصوت معك في هذه الحرب.

فالمخزون الثقافى الذي نشير إليه ، الذي هو تاريخ الكراهية للإسلام ، والتخويف من الإسلام ، والخوف من الإسلام ، ننشر هذا الكلام حتى يكون هناك جدول أعمال للحوار بيننا وبين الآخرين. طبعاً نحن نعرف الموقف من المقدسات أنا أذكر بأخر مشهد رأيناه للبابا عندما زار تركيا. ذهب وصلى في محراب المسجد ، حتى يعلن أنه من حقهم ، وأنه ملكهم. تذكروا عمر بن الخطاب لما دخل القدس سنة ١٥هـ تحرج أن يصلي في الكنيسة احتراماً لخصوصية هذه الكنيسة ، بل ذهب هو وصحابة رسول الله ﷺ إلى الأماكن التي سبق وعبد الله فيها في أرض فلسطين ، وكان الرومان قد جعلوها مقالب للزباله وللنفايات ، فكان يفرش رداءه ، والصحابة يفرشون أردبتهم ويطهرون هذه الأماكن.

وأعادوا إقامة مساجد ومصليات في هذه الأماكن مرة أخرى ، أعادوا الطهر والطهارة انظر إلى الاحترام للقدسية.

وظلت القدس على مر التاريخ ، غير المسلمين يحتكرونها ، الرومان احتكروها ضد اليهود ، ونفوا اليهود منها ، هذا في عهد الوثنية ، وفي عهد النصرانية الرومانية ، الصليبيون في ٩٠ سنة ، حولوا المسجد الأقصى إلى اصطبل للخيل ، وكنيسة لاتينية.

اليوم اليهود يهودونها. وحدها السلطة الإسلامية هي التي فتحت القدس على مر التاريخ لكل أصحاب المقدسات. يعني اليهود الذين كانوا ممنوعين من القدس عمر

والمسلمون هم الذين أعادوهم إلى القدس، هي فكرة الحرم، بل الحرم في الإسلام لا يقاتل فيه.

ونحن نعلم قصة رسول الله ﷺ مع مكة، ونهيه عن القتال فيها، بل وهو الفاتح المنتصر يدخلها ساجداً لله على راحلته. لأول مرة في تاريخ الإنسانية فاتح يدخل البلد التي استفزته وأخرجته منها ساجداً لله سبحانه وتعالى. الحرم لا يقاتل فيه.

عندما فتح المسلمون القدس تم نفس الشيء حوصرت إلى أن صالحت.

حتى صلاح الدين بعد أن دخلها الصليبيون ١٠٩٩ فأبادوا ٧٠ ألفاً من المسلمين، وهذا ورد في كتاب اسمه تاريخ حرب الصليب. كتبه رجل دين مسيحي اسمه ماكسيموس فنري، وترجمه مسيحي اسمه ماكسيموس مظلوم وهو مطبوع في القدس سنة ١٨٦٥، مكتوب عليه طبعة وأرشليم يصف ما حدث للمسلمين في القدس فيقول: حتى الذين احتموا بمسجد عمر ذبحهم الصليبيون وسبحت خيول الصليبيين في دماء المسلمين إلى لجم الخيل، وكتبوا إلى البابا يقولون له: يا ليتك كنت معنا لتشهد الخيل وهي تسبح في دماء الكفار. الكفار هم المسلمون. صنعوا هذا ومع ذلك صلاح الدين عندما أراد أن يحرر القدس بعد ٩٠ سنة من احتلالها حاصرها إلى أن صالحت. لأنها حرم ليس مجرد سماحة، لأنه حارب في بلاد أخرى، ومدن أخرى.

أريد أن أقول: إن هذا هو البعد الديني، البعد الإسلامي في التعامل مع الحرم، والمقدسات هم صنعوا بمقدساتنا في القدس ما صنعوا.

نابليون كلنا نعرف أنه دخل الأزهر بخيله، سكروا وتبولوا وتفوطوا وقتلوا وذبحوا في صحن الأزهر.

نحن رأينا في الفلوجة وهي بلدة صغيرة الأمريكان دمروا ٤٠ مسجداً من سبعين مسجداً هي كل مساجد الفلوجة.

ورأينا على شاشات الفضائيات الأسير والجريح يقتل في المسجد، ورأينا مسجداً أم القرى مقر هيئة علماء المسلمين يقتحمه الأمريكان ويرسمون عليه الصليب، ويدمرون المصاحف، ويدنسون المقدسات، ورأينا المصحف في غوانتنامو. يعني الموقف من المقدسات هذا تاريخ، وهذا تاريخ.

أنا أقول هذا الكلام مرة أخرى، حتى يكون عندنا جدول أعمال في الحوار. أنا سأقرأ عليكم كلمات للجبرتي مؤرخ العصر، وهو يتكلم عن الحملة الفرنسية صاحبة شعارات الحرية والإخاء والمساواة!. تعرفون أن الحملة الفرنسية جاءت إلى مصر لمدة نحو سنتين أبادت فيها سُبُع الشعب المصري، أعلى نسبة إبادة في غزوة من الغزوات. الشعب المصري كان أقل من ٣ مليون قتلوا ٣٠٠ ألف، هؤلاء هم دعاة الحرية والإخاء والمساواة وأعلام الثورة.

مثقفونا العلمانيون المخترقون احتفلوا عامين كاملين مع فرنسا بذكرى غزوة يونابرت، وأنا في حينها كتبت وقلت: الإحتفال لا بالاحتلال بل بالاستقلال. احتفلوا بالاحتلال ألم يحتدوا بالهند. الهند سنة ١٩٩٧ احتفلت ب ٥٠ سنة على تحريرها. فلما أرادت ملكة انجلترا أن تزور الهند، وتزور مدينة أمستار اشترطوا عليها أن تعتذر عن المجزرة التي صنعها الانجليز في أمستار قبل أن تزور هذه المدينة. الناس تحتفل بالاستقلال وليس بالاحتلال.

البرلمان الفرنسي في العام الماضي مجد صنيع الجيش الفرنسي في الجزائر. الجيش الفرنسي الذي قتل في آخر معركة أكثر من ٢ مليون شهيد، ومع ذلك يمجد هذا العمل، نقول هذا الكلام: لأنه كما نقول: بدون معرفة الآخر لن نستطيع محاوره الآخر. ومعنا الدكتور حامد، وبيننا كلام طويل وقديم حول موضوع الحوار، أنا دائماً أقول: الحوار في الإسلام ليس مجرد فضيلة، وإنما هو فريضة لكن له شروط. بدون اعتراف متبادل، وقبول متبادل لا يتم الحوار. بعض المسيحيين قالوا لي لا نقدر أن نعترف بأن الإسلام دين سماوي ولا دين رباني قلت: لهم لماذا؟ قالوا: لو اعترفنا يكون من اللازم أن ندخل الإسلام قلت لهم: هذا ليس بصحيح لأنك تعترف باليهودية دين سماوي ومع ذلك لست يهوديا، ونحن معترفون بالمسيحية دين سماوي، واليهودية دين سماوي، ومع ذلك لا نحن مسيحيون، ولا يهود، نعترف بالضبط كبلد يكون فيها أحزاب شرعية. كل الأحزاب معترفة ببعضها ولكن لكل واحد برنامج، وليس معنى كوني في الإخوان المسلمين مثلا وأعترف بالوفد والأحزاب الأخرى أنني أنتقل إليه هل يعني أنني معترف بشرعيته أنني انتقل إليه؟

فالدين يعترف بهذه الديانات، أنا أقول هذا الكلام: لأن هذا مطلوب ويقال في الحوار لا بد من الاعتراف المتبادل، والقبول المتبادل، وهذا لا يترتب عليه ضرورة أنك

تنتقل. إنما أنا أعبد الله على شريعة محمد، والمسيحي يعبد الله على شريعة عيسى، واليهودي يعبد الله على شريعة موسى، وكلنا يعترف بأن هذه ديانات سماوية. في مؤتمر كان يحضره الدكتور حامد رفضوا أن يقولوا: إن الإسلام دين سماوي، وإن القيم الإسلامية قيم ربانية، ونشر هذا في الصحف، وأنا كتبت، وبعض الناس عاب على أن قلت هذا الكلام. وبعد محاضرة البابا عملنا حلقة في (BBC) وأنا موجود فيها، ومعنا على التليفون قس كاتوليكي. لازم يعرفه الدكتور حامد وهو كرستيان، فأنا أشرت إلى موضوع الخلل في الحوار، لأن فيه طرف يعترف بالآخر وطرف لا يعترف، وأنا كتبت والدكتور حامد يعرف أنني قلت إن حوار الأديان حوار طرشان، لأن فيه واحد يرسل وواحد يستقبل لا يوجد اعتراف متبادل، ولا قبول متبادل فقال: - وهذا مسجل ومذاع في (BBC) - نحن لا نستطيع أن نعترف بأن الإسلام دين سماوي، وأنا فوراً رددت عليه وقلت: معنى هذا أنك تقول: إن محمداً كذاب.

إذا كان هذا موقفهم كيف يكون هناك حوار. إذا أنا أقول: نحن نريد حواراً يستخرج هذا المخزون الثقافى، هذه المواقف المتعنتة من الإسلام حتى يكون هناك حوار حقيقي، وإلا فلا داع، نحن عملنا حواراً عربياً أوروبياً، وحواراً شمالياً جنوبياً، حوار حضارات، حوار ديانات، وفي المنعطفات نكتشف أنه لا توجد ثمرة لكل هذه الحوارات، يعني الكلام الذي كتبه البابا وغيره وغيره، يبين أنه لا توجد نتيجة، البابا كتب، وقد نشر في الليموند في ٢٠٠٦/٠٤/١٨ هذا العام وقال واحد اسمه هنري سنك: إن البابا يقول: إن الإسلام ليس ديناً مثل اليهودية والنصرانية. دين ليس كمثله شيء ليس توحيداً، والذين يأكلون إلههم في التناول ويذهبون به فضلات إلى دورات المياه، مثل الرجل الذي كان في الجاهلية أكل الصنم الذي يعبد، وكان من العجوة، هل هذا هو التوحيد؟ التوحيد الموجود في انجيل يوحنا أن المسيح هو الألف والياء، خالق كل شيء، به كل شيء، وبدونه لم يكن شيء. النص الذي أحال الأب إلى الاستيداع والمعاش هل هذا هو التوحيد؟

ومطلوب منا أن لا نقول إن هذا ليس كفراً، ولا شركاً، ويقال على الإسلام: ليس ديناً سماوياً، وكتابه ليس وحياً إلهياً وأن رسوله ليس نبياً، ولا رسولا، ومع ذلك نقول: إن هناك حواراً، كيف؟ أقول: إن ما نقوله هدفه أن يكون عندنا جدول أعمال حقيقي لهذا الحوار، يعني نحن نسير على الشوك لكي ننزع هذا الشوك. أنا طبعاً

كما قلت لكم ماذا صنع نابليون مع الأزهر. كلام الجبرتي كلام جميل لكن الوقت. الانجليز كرروا هذا في ثورة ١٩١٩ عبد الرحمن الرافي كتب هذا الكلام: ريتشارد قلب الأسد الذي يفتخرون به ويشبهونه بصلاح الدين الأيوبي، (٣٠٠٠) أسير ذبحهم بعد أن أعطى لهم الأمان، ونفس الشيء فعله بونابرت في معركة يافا، بينما موقف المسلمين من الأسرى. أنا معي النصوص التي كتبتها سجرت هونكا، المستشرقة الألمانية موجودة في الكتب التي أنقل منها كي لا أضيع وقتكم، لازم ننعش الذاكرة، نحن قلنا إن الفرنسيين يمجدون عمل الجيش الفرنسي، أنا قرأت لرفاعة الطهطاوي، وهو في باريس في كتابه الإبريز، وهو راجع من فرنسا سنة ١٨٣١م، سنة ١٨٣٠ ذهب الفرنسيون إلى الجزائر ولما انتصروا في الجزائر، ذهب الملك شارل العاشر إلى الكنيسة، ليشكر الله على انتصاره على الجزائريين، ماذا قال له المطران:- هذا كلام الطهطاوي - إن المطران الكبير بباريس لما سمع بأخذ الجزائر، ودخل الملك شارل العاشر إلى الكنيسة ليشكر الله على ذلك، جاء إليه المطران ليهنئه على هذه النصر، فقال: إنه يحمد الله على كون الملة المسيحية انتصرت نصره عظيمة على الملة الإسلامية ولا زالت كذلك. هذا الكلام سنة ١٨٣٠، سنة ١٩٣٠م احتفل الفرنسيون بمرور مائة عام على احتلالهم للجزائر، وعملوا مهرجانات صاخبة، وهي التي استفتزت الجزائريين، الشيخ ابن باديس، والشيخ الإبراهيمي وعملوا جمعية العلماء سنة ١٩٣١م. ماذا قالوا في الخطب التي قالوها. إننا لن نتصر على الجزائريين ماداموا يقرأون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم، وأن نقلع العربية من ألسنتهم.

وقال آخر وهو ينعش الذاكرة التاريخية يخطب ويقول: لا تظنوا أن هذه المهرجانات من أجل بلوغنا مائة سنة في هذا الوطن، فلقد أقام الرومان قبلنا فيه ثلاثة قرون، ومع ذلك خرجوا منه، ألا فلتعلموا أن مغزى هذه المهرجانات هو: تشييع جنازة الإسلام بهذه الديار، هذا هو الذي استفتز الشيخ ابن باديس والشيخ البشير في عمل جمعية العلماء آخر حاجة أريد أن أشير إليها كما قلت إن الغرب ليس شيئاً واحداً. القرآن الذي تكلموا عنه هذا الكلام سواء من البابا أو من غيره، أو مارتن لوتر، أو توما الأكويني أو جوتة، ماذا يقول عنهم منتو وهو عمود من أعمدة الثقافة الانجليزية، وكتب هذا الكلام بعد ثلث قرن من الدراسات الإسلامية، وعمل

الماجستير والدكتوراه في علم الكلام. أكثر من ثلاثين سنة وهو يعايش الإسلام، ويدرس الإسلام، وكتب في النهاية كتابا وهو الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر. هذا الكتاب ترجمه مثقف سعودي ونشر عندنا في القاهرة. ماذا يقول؟: حتى يتضح أن الغرب ليسوا سواء: إن القرآن ليس بأي حال من الأحوال كلام محمد، ولا هو نتاج تفكيره، وإنما هو كلام الله وحده قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه، ومن هنا فإن محمداً ليس أكثر من رسول اختاره الله لحمل هذه الرسالة إلى أهل مكة أولاً ثم لكل العرب، ومن هنا فهو قرآن عربي مبين، إنني أعتقد أن القرآن بمعنى من المعاني صادر عن الله، وبالتالي فهو وحي. إننا نؤمن بصدق محمد وإخلاصه عندما يقول: إن كلمات الله ليست نتيجة أي تفكير واع منه، وربما كانت الملامح الأساسية للوحي يمكن اختصارها في العناصر الثلاثة الآتية:

١. أن الكلمات المنزلة على محمد كانت تحضر في عقله الواعي.
٢. وأن تفكيره الشخصي لم يكن له دور في ذلك.
٣. وأن يقنناً جازماً كان يمتلك فؤاده أن هذه الكلمات هي من عند الله.

لقد وجد محمد الكلمات أو المحتوى الشفهي حاضراً في وعيه، فلما تمت كتابته شكل النص القرآني الذي بين أيدينا، وكان محمد واعياً تماماً أنه لا دخل لتفكيره الواعي في هذه الرسالة التي تصله، وبتعبير آخر فقد كان يعتقد أنه يمكنه أن يفصل بين هذه الرسالة القرآنية وبين تفكيره الواعي، وإن محمداً وهو في الحوار مع الإسلام يجب أن يتخلى المسيحيون عن فكرة أن محمداً لم يتلقى وحيًا وعن الأفكار الشبيهة، وإذا لم يكن محمد هو الذي رتب القرآن بناء على وحي نزل عليه، فمن الصعب أن نتصور زيدياً بن ثابت، أو أي مسلم آخر يقوم بهذا العمل، ومن هنا فإن كثيراً من السور قد اتخذت شكلها الذي هي عليه منذ أيام محمد نفسه، والقرآن كان يسجل فور نزوله، انظروا إلى العبارة الأخيرة: وعندما تحدى محمد أعداءه بأن يأتوا بسورة مثل السورة التي أوحيت إليه، كان من المفترض أنهم لن يستطيعوا مواجهة التحدي لأن السور التي تلاها محمد هي من عند الله، وما كان لبشر أن يتحدى الله، وليس من شك في أنه ليس من قبيل الصدفة أيضاً أن كلمة آية تعني علامة على القدرة الإلهية وتعني أيضاً فقرة من الوحي.

الكلمة الختامية لسجرت هونكا في كتاب لها نفيس، صغير لكنه نفيس اسمه الله ليس كذلك: "إن الإسلام هو ولا شك أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحة وإنصافاً نقولها بلا تحيز ودون أن نسمع للأحكام الظالمة أن تلتطخه بالسواد، وإذا ما نحينا هذه المغالطات التاريخية الآثمة في حقه والجهل البحت به فإن علينا أن نتقبل هذا الشريك والصديق مع ضمان حقه أن يكون كما هو.

كلنا يعرف جاك برك. جاك برك له شهادة في أواخر عمره كأنه يصف الواقع الذي نعيشه، هو مات سنة ١٩٩٥ م، يقول: "إن الإسلام الذي هو آخر الديانات السماوية الثلاث، والذي يؤمن به أكثر من مليار نسمة في العالم، والذي هو قريب من الغرب جغرافياً وتاريخياً، وحتى من ناحية القيم والمفاهيم، قد ظل ويظل حتى هذه الساعة بالنسبة للغرب ابن العم المجهول، والأخ المرفوض، والمنكور الأبدي والمبعد الأبدي، والمتهم الأبدي، والمشتبه فيه الأبدي". هذا كلام جاك برك يشخص حاله الكراهية للإسلام. وكل ما قرأته عليكم شهادات غريبة بمنهج وشهد شاهد من أهلها، وكما قلت لا لنزيد الكراهية ولا لنبادلهم الكراهية بكراهية، وإنما ليكون لدينا جدول أعمال في كل حواراتنا ندعوا فيه إلى نزع هذه الألغام. لماذا؟ لأن ديننا يقول: لتعارفوا شعوباً وقبائل لتعارفوا، هل يمكن أن يتم تعارف مع وجود هذه الألغام.

وشكراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.